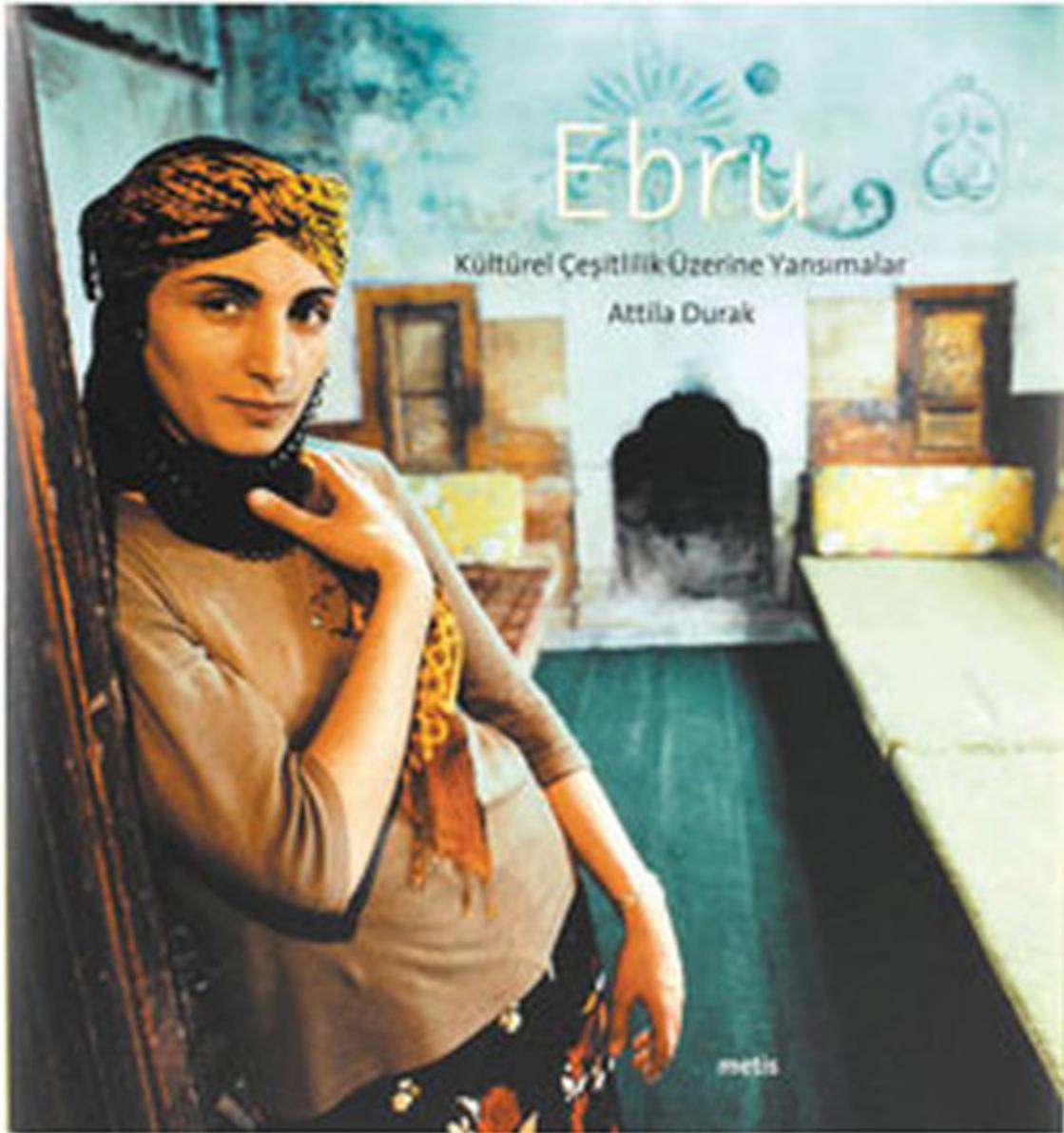


إسطنبول.. التنوع المفضي إلى الاتساق



”إسطنبول هي ملخص 80 ولاية تركية يجمعها اتصال إنساني ومادي، ففهم إسطنبول هو فهم لتركيا“ الرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

خمس سنوات قضاها المصور التركي الشهير أتيلدا دوزاق متجوّلاً بين مدن وقرى الأناضول محاولاً التقاط وتصوير عوالمه المتنوعة، منتجاً 173 لوحة بورتريه حملت اسم ”إيبرو“ تيمناً بفن الرسم على الماء ”إيبرو“ القائم على تداخل مجموعة من الألوان بين بعضها البعض دون أن تنصهر أو تمتزج فيما بينها بحيث يحافظ كل لون على شكله ومظهره دون أن يتحول إلى لون آخر.



واجهة كتاب "إيبرو" الذي ضم 173 لوحة بورتريه للفنان التركي أتيلدا دوراق فجاء اسم "إيبرو" ليعكس طبيعة التركيبة الإثنية والثقافية لأهل الأناضول المشابه في تنوعها تنوع الألوان في لوحة الإيبرو، كما أن تداخل ألوان لوحة الإيبرو دون تمازجها وانصهارها مشابه لحال الأناضول التي تحافظ مركباتها الإثنية والثقافية على خصوصيتها دون أن تنصهر مع بعضها البعض.

لوحة إيبرو هي أفضل ما يمكن أن يطلق على مدينة الـ20 مليون إنسان التي تتكثف فيها مجموعة كبيرة من الألوان والأشكال والرموز لتفضي إلى لوحة فنية يأخذ التناقض فيها الدور الأساس في رسم الجمال الإسطنبولي، تناقض يلمسه زائر المدينة في كل تفصيلا من تفاصيلها، في توزيع أحيائها، في مناخها وتضاريسها وسكانها وأنماط معيشتها.

أسكودار وكاديكوي.. ساحل الأناضول المنقسم على ذاته

ما إن تحط قدميك ساحل أسكودار هابطًا من إحدى عبارات النقل الماخرة بين ضفتي المضيق أو خارجًا من محطة مترو أسكودار حتى يكون في استقبالك مسجد مهرماه سلطان، أحد آثار كبير معماري الدولة العثمانية سنان باشا، ليقابله مسجد يني والدة المبني على النمط السناني ويجاوره مقهى

”مهرماه“ بموسيقاه العثمانية وأغاني العشق الإلهي الذي يرتاده في العادة فئة من الشباب المحافظ المنفتح.

وقباله ساحل أسكودار يقف برج الفتاة ”كيز كولسي“ صاحب حكاية ابنة السلطان المشهورة التي أراد والدها حمايتها وحفظها من الأذى، فعزلها في هذا البرج، كأن معلم أسكودار الأشهر يرمز للعزلة وحماية النفس والمحافظة عليها في إشارة لحال أسكودار المتمردة على جموح الساحل.



برج الفتاة قبالة ساحل أسكودار

وفي جنوب أسكودار يقع حي كاديكوي الذي تأخذ الحياة فيه طابعًا معاكسًا تمامًا، فما إن تحط قديمك محطة كاديكوي هابطًا من إحدى عبارات النقل حتى يقابلك تمثالًا لمصطفى كمال أتاتورك بجواره معهد لتعليم الموسيقى يتبع لجامعة إسطنبول، وفي عرض البحر تبرز محطة ”حيدر باشا“ للقطارات كشاهد على ما تبقى من عاصمة حكمت المشرق لسنوات طويلة، فإذا كان برج الفتاة يحمل معنى الحماية والمحافظة والرغبة في البعد عن الخطر، تحمل محطة حيدر باشا رمزية الرغبة في الانعتاق والانفتاح، فإذا كان ساحل لأسكودار عصي على جموح الساحل، فإن ساحل كاديكوي قد سلم نفسه لعنفوان وجموح الساحل.



محطة حيدر باشا كما تبدو من محط السفن في كاديكوي، دخلت المحطة الخدمة عام 1908 كمحطة أساسية في خطوط السكك المنطلقة من إسطنبول

صعودًا لأعلى إلى شوارع الحي التي تعج حاناتها بروادها الذين تغلب عليهم فئة الشباب، من الطبيعي أن تصادف في تجوالك في الحي وقفة احتجاجية هنا أو هناك، كما من المألوف مشاهدة رايات حزب الشعب الجمهوري بأسهمها الست معلقة في شوارع الحي الممتلئة برسومات الغرافيتي المحملة بالشعارات اليسارية تارة والليبرالية تارة أخرى، حيث تشرف البلدية على تنظيم مهرجان سنوي لرسم الغرافيتي.



لكن تمايز الركاب يبدأ مع ركوبهم لخطوط المترو، فخط مترو حجي عثمان m2 (تقسيم) يمر بعدد من الأحياء والمناطق الغنية المسكونة من الطبقة الوسطى العليا والغنية من المجتمع التركي كليفت وشيشهانه ومجدية كوي وعثمان بيه وغيرها، فيلاحظ الراكب نوعية ركابه ذوي التوجه الغربي. وعلى الطرف الآخر من محطة يني كابي ينطلق خط m1 بفرعيه (المطار، كيرازلي) ليمر بعدد من الأحياء أهمها الفاتح وباغجلار وإيسنلار ويني بوسنة وشيرين إيفلار وغيرها التي يغلب على سكانها انتماءهم للشق الأدنى من الطبقة الوسطى، حيث يلاحظ الراكب ازدحام هذا الخط والوجود القوي للعمالة التركية والأجنبية ونوعية ركابه المحافظة.

مدينة إسطنبول كغيرها من المدن الكبرى في العالم مفعمة بالتناقضات والفروقات بين أحيائها وسكانها، لكنها تأخذ أشكالاً أكثر تنوعاً وعمقاً

وعلى الجانب الآسيوي نجد ذات الفروق بين خطوط المترو الموجودة، لكنها تأخذ صيغ وأشكال أخرى، حيث ينطلق من الشق الآسيوي خطا مترو: الأول خط m5 وينطلق من ساحل أسكودار ليصل إلى تشكيميكوي، والآخر خط m4 وينطلق من كاديكوي ليصل إلى تفشانته، حيث من الممكن سحب فروقات كاديكوي وأسكودار على خطي المترو، حيث يقطع خط كاديكوي الساحل الآسيوي في حين يوغل أسكودار في عمق الشق الآسيوي مبتعداً عن الساحل.

ختاماً، مدينة إسطنبول كغيرها من المدن الكبرى في العالم مفعمة بالتناقضات والفروقات بين أحيائها وسكانها، لكنها في إسطنبول تأخذ أشكالاً أكثر تنوعاً وعمقاً، فعاصمة الإمبراطورية العثمانية ظلت لسنوات طويلة مغلقة أمام القادمين من الأناضول، لكن قيام الجمهورية والبدء في سياسات التصنيع خلق موجات من الهجرة تجاه المدينة التي أخذ عدد سكانها في التضاعف وحجمها بالاتساع والنمو، حيث انعكست فسيفساء الأناضول على المدينة التي بدأت بالعودة إلى الحياة مرة أخرى، فظهرت تجمعات الأكراد وأهل البحر الأسود والقادمين من مدن الأناضول الداخلية، بالإضافة إلى البشناق والأرناؤوط وغيرهم الذين استقروا في المدينة المتضخمة، فظهرت حالات من التناقض بين أحياء المدينة اعتمدت على مزيج من الاعتبارات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

فالطبقة الوسطى المتدينة تسكن في أحياء مثل باشاك شهير واسكودار وغيرها، فيما تسكن الطبقة الوسطى الكمالية في أحياء مثل أناشهير وأتاكينت وغيرها، فالتصنيف في إسطنبول لا يقبل أن يأخذ خانة واحد، كما ساهمت طرق المواصلات في ترسيخ هذا التصنيف، فخط m3 الممتد من كيرازلي إلى باشاك كينت يختلف في ركابه عن الخط m الممتد من يني كابي إلى حجي عثمان.